**الأدب الفلسفي ... لماذا ؟**

اذا كان الأدب هو التعبير الجميل عن الحقيقة ، وكانت الفلسفة هي التعبير المنظم عن الحقيقة ، وكان كل انسان هو فيلسوف ، وانه لا فرار من الفلسفة والتفلسف ؛ لأننا حتى عندما نفند الفلسفة كما يقول ارسطو فاننا نفندها وفقا لفلسفة اخرى . ومن هنا فإن كل ادب مسكون بالفلسفة بوعي او بدون وعي ، لكن هذه الفلسفة تبقى في الغالب خارج دائرة الضوء والبحث ، بفعل رغبة الأديب في اخفاء تفاصيل القاعدة التي استند اليها ، لذلك فإننا عندما نقف ازاء شاعر كبير نجد انفسنا نتسائل عن فلسفته وطريقة نقده للحياة .

كذلك فإن الفيلسوف نفسه قد يكون اديبا فتجد المضامين الفلسفية طريقها الى ما ينتجه من شعر ونثر . وهذا ما نجده عند كثير من الفلاسفة فقد كان افلاطون شاعرا ، وكان الفلاسفة قبل افلاطون شعراء ، حتى انهم نظموا فلسفاتهم شعرا ، وهكذا كان الفلاسفة المسلمون فإنك لا تلقى الفيلسوف العربي او المسلم الا وتجده لغويا فقيها في اللغة ، ومنشئا من الطراز الأول ، اديبا بارعا في الشعر وفي النثر وفي النقد . فتمكنوا نتيجة لذلك من اداء المعاني الدقيقة باسلوب رشيق قوي محكم البناء ذي تأثير في النفوس ، وتركو لنا آثارا تدخل في مجال الأدب الفلسفي ، لعلَّ اهمها القصص الرمزي الذي نجده عند اخوان الصفا وابن سينا وابن طفيل والسهروردي المقتول .

كما ان الأديب قد يتأثر بالفلسفة فتتغلغل في اعماله الأدبية لا في المعنى والفكر فحسب وانما كذلك في الشكل . اذ نجد اثرها في اللغة والأسلوب وطريقة تنظيم المعنى وخصائص البنى الجمالية بصفة عامة . وهذا ما نجده في الشعر العربي في العصر العباسي إذ ان المناخ الحضاري الذي ساد في العصر العباسي قد حمل معاني الفلسفة الى مضمون الشعر وشكله فغدا الشعر عرْضا لما استجد في الوعي العباسي من تحولات ، ومن هنا يمكننا ان نجد في شعر بشار بن برد وأبي نؤاس وابي العتاهية وابي تمام وابن الرومي والمتنبي وابي العلاء المعري افكارا وأشكالا تحمل الفلسفة في قضاياها واشكالاتها واحيانا في ادق مسائلها . فقد بات العقل العربي الاسلامي اكثر تعقيدا واكثر حذرا ، كما في موقف ابي نؤاس :

تصف الطلول على السماع بها  أفذو العيان كأنت في العلمِ

وإذا وصـــفت الشـــيء متَّبعاً  لم تخلُ من زللٍ ومن وهمِ

فلم يعد العقل العربي بسيطا او عفويا في رواية الخبر وتقبل الرواية ، وما عاد يقنع دون العيان والحجة سبيلا الى التصديق ، ولعلَّ هذا ايضا ما اشار اليه المتنبي بقوله :

خذْ ما تراه ودَعْ شيئا سمعْتَ به  في طلعةِ البدر ما يغنيك عنْ زحلِ

وسيبلغ هذا الاتجاه ذروته في شعر ابي العلاء المعري .

ويمكن ان نشير الى عامل آخر من عوامل نشوء الأدب الفلسفي ذلك هو طبيعة الموضوع او الفكرة الفلسفية فإن بعض الأفكار ليس بإمكان الأسلوب العلمي والمنطقي ان يوفيها حقها ، فطبيعة الفكرة هي التي تدفع الفيلسوف الى ان يكتبها بالأسلوب الأدبي ولا شيء اكثر دلالة في هذا الموضوع من دور الأسطورة في الفكر الأفلاطوني ، فأفلاطون في جدله ، لا يدخل الأسطورة لكي ينفي العقل ، فهي ليست بناء كيفيا للتخيل كي يكسو به كسل البصيرة . انها عون تقدمه الصور الى وهن العقل كيما تقويه وتعرفه على ما هو قريب من المعقول دون ان يكون ممكن الأثبات ، فافلاطون يستدعي الصور لكي يُفهم رمزيا ما لا يفهم مباشرة .

كذلك يمكننا اضافة عامل آخر دفع بعض الفلاسفة الى كتابة افكارهم بإسلوب ادبي ، ذلك هو عنصر العاطفة ، الذي يعني وجوده ايمان الفيلسوف بما يكتبه ، فالمرء عندما يعبر عن فكرة مازجت مشاعره وآمن بها ايمانا عميقا ، فإنه يستخددم اللغة بعناية خاصة ، ويهتم بصياغة العبارات مؤْثرا اللفظ المؤثر والموحي ، مستعملا فنون البلاغة بما يؤدي الى تأكيد الفكرة واظهارها قوية واضحة .